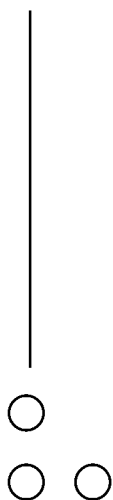


ترجمة المؤلف



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله العربى المبين

هو الشيخ الإمام أبو عبد الله رضى الدين محمد بن إبراهيم بن يوسف ابن عبد الرحمن المعروف بابن الحنبلى الحلبى، ترجمه الغزى فى الكواكب السائرة ترجمة مختصرة، والشهاب الخفاجى فى ريحانته، ومما قاله: «وله نظم كما انتظمت درارى الزهر، ونثر كما نثرت يدُ الشمال على وجنات الرياض لآلى القطر؛ وله تصانيف جمّة تزينت بها البلاد، وأمست تائمها منوطة بأجياد الأجواد، فهو نسيج وحده وآثاره فى حلل الفضل طراز مذهب، وأشدّ فى مجادلة العلماء لا يذكر عنده ثعلب، وله محاضرات لو ذكرت للراغب لسعى لها راغبًا، أو لسحبان الظلّ لذيل الخجل على وجه البسيطة ساحبًا...».

حياته:

قال صاحب^(١) «أعلام النبلاء فى تاريخ حلب الشهباء»: كانت ولادته سنة ٩٠٨ هـ، كما وجدته فى فهرست المكتبة السلطانية المصرية، وتوفى فى حلب سنة ٩٧١ للهجرة.

(١) ٦ / ٦٠ وصاحب الأعلام هو عالم الشهباء ومؤرخها الشيخ محمد راغب الطباخ

عضو مجمعنا العلمى ومن تاريخه اقتبسنا مادة هذه الترجمة.

دراسته:

وأما دراسته فقد قرأ القرآن على الشيخ أحمد بن الحسين الباكرى، وقال فى ترجمة شيخه عبد الرحمن بن فخر النساء: تفقّهت أنا والله الحمد على شيخنا صاحب الترجمة قراءة، وسمعت عليه سماع دراية جانباً من شرح الشافىة للجاريردى، وجانباً من شرح الكافية للهندى، بقراءة البرهان الصيرفى الأريحاوى، وقطعة من صدر الشريعة بقراءة الشمس محمد بن طاس بصتى.

وقرأ على الشهاب أحمد الهندى الدلوى نزيل حلب كتاب المطوّل وحواشيه للشريف الجرجانى، وقرأ على محمد بن شعبان الديروطى بحلب سنة ٩٤١، شرح النخبة لابن حجر فى مصطلح الحديث، وأجازه فى إقرائها لمن شاء، وأن يروى عنه صحيحى البخارى ومسلم، وقرظ له بعض مؤلفاته؛ وقرأ النزّهة^(١) فى الحساب على الشيخ محمد الحناجرى، ومتن الجغمينى^(٢) على ولى الدين الشروانى.

قال المترجم: وهو أول أستاذ لى فى هذا الفن، وقال فى ترجمة البرهان إبراهيم العمادى: أخذت عنه عدة فنون إلى أن أجاز لى جميع ما يجوز له، وعنه روايته إجازة مفصلة بخطه سنة ٩٤٨.

تصوفه:

لم نطلع على كتب التصوف التى قرأها على أشياخه، ولا على سيرته فى التحنّث والتنسك لنحكم على مبلغ علمه ونوع تصوفه وتأثره به، ولعل

(١) هى نزّهة الألباب فى علم الحساب لعبد العزيز المغربى المكناسى المتوفى سنة ٩٦٤.

(٢) الملخص فى الهيئة لمحمود بن محمد الجغمينى وعليه شروح جمّة.

تصوفه هذا قد كان تصوف تبرك ومجازاة لطريقة علماء عصره، فقد شرح حكم ابن عطاء الله الإسكندري وهى جمة الشروح، وألف حور الخيام فى رؤية خير الأنام فى اليقظة والنام، وكتب رسالة تسمى تلميظ الشهد لأهل الحل والعقد، شرح فيها أحد وعشرين بيتاً، كان نظمها على لسان شيخه فى التسليك، وهو الشيخ عبد اللطيف الجامى الذى قال فى ترجمته: وقد سألته فى تلقين الذكر فلقننى إياه بالتكية الخسروية وصافحنى وأجاز لى والله الحمد أن ألقن وأصافح، وكتب لى دستور العمل، ولكن بالفارسية لاشتغاله عن التعريب بأهبة السفر، فاستأذنته فى تعريبه نظماً ونثراً، فأذن، فعربت وعرضتُ التعريب عليه فاستملحه، وصار الناس يكتبون منه نسخاً والله المنة.

أدبه:

كان المؤلف يتكلف البديع فى نشره وشعره على نمط الأدب فى عصره، فإن ما نذكره من أمثلة نظمه يدل على ذلك، وعلى أنه من شعر العلماء الذين تأثروا بمصطلحات العلوم فلم تخلُ منها أشعارهم، ولم يتيسر لهم أن يتذوقوا البليغ من النثر والشعر، وكان المترجم من علماء اللغة والمشغوفين با، فقد اهتم بلهجة بلدته وردها إلى لغة أمتة الفصحى، وله فى التاريخ كتابا در الحبيب والزبد والضرب وكلاهما فى تاريخ حلب، وألف فى الأحاجى والألغاز على نمط أبناء عصره، فله كنز من حاجى وعمى فى الأحاجى والمعمى وشرحه بكتاب سماه غمز العين إلى كنز العين، وألف فى صناعة الإنشاد كتاباً سماه تحفة الأفاضل فى صناعة الفاضل، وله ديوان لشعره جمعه تلميذه الشيخ أحمد بن الملا، فمن شعره:

قوامك يا بدر النحاة كأنه
وعينك فاقت كل عين بكحلها
قنًا أو قوام السرو أو ألف الوصل
فما أنت إلا زيدُ مسألة الكحل^(١)
وقوله :

يلوموننى فى ترك ضم قوامه
نعم بيننا جنسية الود والصفاء
ولا إذن للنساک فى الضم واللثم
ولكننى لم ألفها علة الضم
وتنسب إليه هذه الرباعية :

طرفاك كلاهما ضعيف وعليل
من ضعفى قد صرفت ميلى لهما
نثلى وأنا العليل من أجل عليل
والجنس إلى الجنس كما قيل يميل
مؤلفاته:

إن ثبت مؤلفاته الذى نسرده جريدته لك الآن كاف فى الدلالة على
استماع دائرة معارفه التى لم تقتصر على علوم الدين والأدب ولغة العرب، فقد
حمله شغفه بالعلم على درس كثير من العلوم الطبيعية والرياضية والتأليف
فيهما، ورأينا فى ترجمته أنه قرأ نزهة الألباب فى علم الحساب، وامتزج
الجغمينى فى الهيئة، وألف رفع الحجاب عن قواعد الحساب وهو شرح
للنزهة، وله أيضاً: عدة الحاسب وعمدة المحاسب، وشرح إيساغوجى فى
المنطق، والدرر الساطعة فى الأدوية القاطعة، ومخايل الملاحاة فى مسائل
الفلاحة، ورسالة ألفها برسم السلطان سليمان فى عشرين علماً، وإليك ثبت
مؤلفاته المعروفة:

(١) إشارة إلى مسألة الكحل المشهورة بين النحاة.

- ١ - در الحبب فى تاريخ حلب يشتمل على ٦٣٣ ترجمة فيها كثير من أرباب الصناعات والفنون .
- ٢ - فتح العين عن الاسم غير أو عين .
- ٣ - الآثار الرفيعة فى مآثر بنى ربيعة .
- ٤ - أحكام الأشعار .
- ٥ - أنموذج العلوم لذوى البصائر والفهوم .
- ٦ - تعليقة على تفسير البيضاوى .
- ٧ - الزبد والضرب فى تاريخ حلب .
- ٨ - تذكرة من نسى بالوسط الهندسى : منه نسخة فى مكتبة المجلس البلدى بالإسكندرية .
- ٩ - تروية الظامى فى تبرئة الجامى : فى الرد على روح الله القزوينى فى تشنيعه على شيخه عبد اللطيف الجامى .
- ١٠ - تلميظ الشهد لأهل الحل والعقد : شرح فيه ٢١ بيتاً قد نظمها على لسان شيخه عبد اللطيف الجامى .
- ١١ - حدائق الأزهار ومصابيح أنوار الأنوار .
- ١٢ - الحدائق الأنسية فى كشف حقائق الأندلسية فى العروض : موجود بخط المؤلف فى المكتبة الحلوية بحلب .
- ١٣ - شرح حكم ابن عطاء الله الإسكندرى .
- ١٤ - حور الخيام فى رواية خير الأنام فى اليقظة والمنام .

- ١٥ - ديوان نظمه جمعه تلميذه الشيخ أحمد بن الملا: منه نسخة فى السلطانية بمصر ضمن مجموع رقمه ٨٥.
- ١٦ - ذخيرة الممات فى النقول بتلقين من مات.
- ١٧ - ظل العريش فى منع حل البنج والحشيش.
- ١٨ - رفع الحجاب عن قواعد الحساب وهو شرح النزهة فى الحساب: منه نسخة عند الشيخ نبيه الهيراوى بحلب، ونسخة فى الأحمدية، وأخرى فى بيت سلطان بحلب.
- ١٩ - سهل الأحاظ فى وهم الألفاظ.
- ٢٠ - الشراب النيلى فى ولاية الجليلى.
- ٢١ - شرح المقلتين فى حكم النقلين.
- ٢٢ - عدة الحاسب وعمدة المحاسب.
- ٢٣ - عرف الوردى فى نصرة الشيخ الهندى.
- ٢٤ - مستوجة التشريف بتوضيح شرح التصريف.
- ٢٥ - التعريف على تغليظ التطريف: حاشية على حاشية محمد بن العرضى المعروف بابن هلال السماة بالتطريف.
- ٢٦ - ربط الشوارد فى حل الشواهد: شرح شواهد شرح السعد على العزى فى الصرف، موجود بخط المؤلف فى المكتبة الحلوية، ومنه نسخة فى اليسوعية (بيررت) وأخرى عند الشيخ مصطفى كزيرة بحلب.

- ٢٧ - زيلة السراج على رسالة السراج: حاشية على فرائض السجاوندى .
- ٢٨ - الفرع الأثيث فى الحديث .
- ٢٩ - المنشور العودى على النظام السعودى: وهو شرح لميمية المولى أبى السعود العمادى التى مطلعها (أبعد سليمانى مطلب ومرام) .
- ٣٠ - كحل العيون النجل فى حل مسألة الكحل: رسالة مفصلة .
- ٣١ - الكنز المظهر فى استخراج المضمير .
- ٣٢ - كنز من حاجى وعمى فى الأحاجى والمعنى وشرحها بشرح سماه غمز العين إلى كنز العين: منه نسخة فى بيت سلطان بحلب، وفى المكتبة السلطانية بمصر، وفى بيت مرعى باشا بحلب، وهى بخط المؤلف سنة ٩٦٥ فى ثلاثة كرايس .
- ٣٣ - مرتع الظبا ومربع ذوى الصبا: منه نسخة فى المكتبة السلطانية بمصر .
- ٣٤ - مصباح الدجى فى حرف الرجا .
- ٣٥ - مطلوب لخانى فى السفر السليمانى .
- ٣٦ - مغنى الحبيب عن مغنى اللبيب .
- ٣٧ - الفوائد السمية فى شرح المقدمة الجزرية فى علم التجويد، وهو شرح مفصل .
- ٣٨ - أنوار الملك على شرح المنار لابن ملك فى الأصول، حاشية مطبوعة فى القسطنطينية مع حاشيتى الرهاوى وزيرك زادة على

الشرح المذكور، يوجد منها نسخة خطية فى الأحمديّة بحلب
والخالديّة بالقدس.

٣٩ - نجوم المريد ورجوم المريد.

٤٠ - حاشية على وقاية الرواية فى مسائل الهداية فى الفقه الحنفى.

٤١ - حاشية على شرح اللب فى علم الأصول.

٤٢ - تحفة الأفاضل فى صناعة الفاضل فى الإنشاء رسالة بخطه فى
المكتبة الحلوية.

٤٣ - حاشية على لباب العقد فى فقه الشافعية سماها شرح اللباب.

٤٤ - تأهيل من خطب فى ترتيب الصحابة فى الخطب.

٤٥ - رسالة فى عشرين بحثاً فى عشرين علماً ألفها برسم السلطان
سليمان.

٤٦ - القول القاسم للقاسمى قاسم.

٤٧ - قفو علوم الأثر رسالة مطبوعة فى علم الحديث.

٤٨ - مخايل الملاحة فى مسائل الفلاحة.

٤٩ - الروائع العودية فى المدائح السعودية فى السلطانية بمصر فى
مجموع رقمه ٨٥.

٥٠ - رسالة تشتمل على جملة ما يهواه السامع لقصد تشنيف السامع
له فى السلطانية بمصر ضمن المجموع المتقدم.

٥١ - الجوارى المنشآت فى الجوارى المنشآت ضمن المجموع.

٥٢ - روضة الأفراح على السراجية فى الفرائض، فى المكتبة العمومية فى الآستانة.

٥٣ - شرح إيساغوجى فى المنطق وهو على تصوراته.

٥٤ - الدرر الساطعة فى الأدوية القاطعة منه نسخة فى برلين، وفى المتحف البريطانى.

وهذه التراجم مذكورة فى كشف الظنون وفى تاريخ المؤلف در الجب، وفهرست السلطانية بمصر وغيرها. قال الأستاذ الطباخ: «هذا ما قفت عليه من مؤلفات هذا العالم الجليل، ولعل له فى الزوايا خبايا يعثر عليها بتتبع المكاتب، فقد كان رحمه الله كبير التحرير والتجوير كما رأيت» أقول: ومن تلك الخبايا كتاب بحر العوام فيما أصاب فيه العوام، وإليك وصف مخطوطته:

وصف مخطوطة بحر العوام:

إن هذه المخطوطة تشتمل على مائة واثنى عشرة صفحة، وسعة الصفحة الواحدة تبلغ (٢٠ × ١٢,٥ سم) وفيها ١٧ سطراً، والورق حريرى يضرب إلى الصفرة، وقد كتبها بخط النسخ علم الدين بن محمد شمس الدي الكومى سنة ١٠١١ هجرية، أى بعد وفاة مؤلفها بأربعين سنة. وقد أكلت السمكة النسخة إلا أن معظم تأثيرها فى أطراف الصحائف، ولو لم تعاجل هذه النسخة بالنشر لتعذرت قراءتها ولضاع كثير من فوائدها.

ولقائل أن يقول إن المصنف ليقوى برسائله هذه الضعيف، ولا يداوى المريض أو يقوم المعوج من لغة العامة، وكان هذا يرد لو أن المؤلف لم ينص

على درجات اللهجات فيبين القوى والأقوى، والضعيف واللغة التي تروى، وبذلك يتمكن دار الكتاب من معرفة مراتب الخطأ في لغة الشام والصواب، ويستشهد مؤلف هذه الرسالة على صحة ما يبينه بأقوال أئمة اللغة والنحو كيونس بن حبيب وسيبويه وابن هشام والشيخ الرضى وابن منظور صاحب اللسان وابن برى وغيرهم.

ومن فوائد هذه الرسالة اطلاعنا على لهجة بلاد الشام الشمالية في القرن العاشر، وكثير من هذه اللهجة لا يزال دائراً على الألسنة إلى يوم الناس هذا في حلب ودمشق وقراها، وبعضها حتى في فلسطين بلاد الشام الجنوبية، ولم أجد أحداً من علماء دمشق المتأخرين يبحث فيها عن لغة العامة على نمط الرضى الحلبي، غير أنى اطلعت في خزانة صديقى الشيخ الحكيم (الدكتور) أبى اليسر عابدين على رسالة فى عدة دفاتر للفقير الكبير السيد علاء الدين ابن العلامة السيد محمد أمين عابدين صاحب الحاشية المشهورة فى فقه أبى حنيفة، فوجدتها تشتمل على جرائد من ألفاظ العامة بدمشق وفيها كثير من الألفاظ الأعجمية من تركية وإيطالية وغيرها، ولا يعمد مؤلفها إلى إرجاع العامية إلى الفصحى، كما فعل مؤلف بحر العوام، وتفيدنا هذه الرسالة فى معرفة ما بلغته العامية فى دمشق منذ نصف قرن تقريباً من الانحطاط وكثرة الاختلاط بالألفاظ الأجنبية فقد(*):

سرت لوثة (الأعجام) فيها كما سرى لعاب الأفاعى فى مسيل فرات

التنوخى

(*) البيت لحافظ إبراهيم، وإنما استبدلنا فى الصدر الأعجام بالإفرنج لينطبق البيت فى معناه على ما كانت عليه لغتنا العلمية.